

(معاني استشهاد قادة الجهاد)

للشيخ حامد بن عبدالله العلي (حفظه الله)

الحمد لله رب العالمين، أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وليّ المتقين، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، قائد المجاهدين، وسيد الغر المحجلين.

وبعد:

إنّ حكاية جهاد أمّتنا المشرف اليوم، هي والله حكاية الحق الظافرة، المتجلّلة بالآيات الباهرة، وهي ذاتها قصة إنتصار الحق الأوحد الذي يحمله الإسلام، في معركته مع باطل الجاهلية، في كلّ زمان و مكان.

حيث تتراجع المعايير المادية، وتتحوّل إلى آيات تثبت أنّ هذه المعركة محسومة النتيجة قبل أن تبدأ، فالحقّ وأهله منصورون، والباطل وأهله مغلوبون، ولكنّ الشأناً فقط، فيمن يستعمله الله تعالى في هذه المعركة، بعد أن أعادها الله سبحانه و تعالى من ذلك.

و قبل أن أبدأ سأضرب مثلاً من التاريخ، للمنهزمين الذين يقولون كيف تقاتلون عدواً لا طاقة لأحدٍ بقتاله! كما قال المنافقون و الذين في قلوبهم مرضٌ من قبل: {غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ}.

فقد حكى لنا التاريخ قصة فيها عبرة تذكّرنا بقوله تعالى: {كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ}.
فمن أحداث التاريخ ما ذكره المؤرخون الإسلاميون أنه خرج ارمانوس ملك الروم عام ٤٦٣هـ، إلى بلاد المسلمين في مائتي ألف مقاتل، ومعه خليط من الروم، والفرنجية، والروس، والصرب، والأرمن، والبوشناق، وسلك سبيله إلى العراق، وقد أقطع من غروره، بطارقه الأرض حتى بغداد، وعين له نائبا على بغداد أيضا، وذلك كله قبل أن يسير إلى بغداد عزم أن يفتتحها وأهله، وأولاده من العراق مال إلى الشام.

ووصل الخبر إلى أبي الجهم المجاهد الذي كان في الشام حينئذ فلم يتمكن من جمع الجند ولم يكن معه إلا جند قليل فكتب إلى أرمانيوس الذي كان قد نزل في ملاذ كرد في تركيا.

وقال ألب أرسلان: إني أقاتل محتسبا صابرا، فإن سلمت فنعمة من الله تعالى، وإن كانت الشهادة فإن ابني ملكشاه ولي عهدي، وجد في السير وأرسل مقدمته أمامه، فالتقت بمقدمة الروس، وكان عددهم عشرة آلاف فهزم الروس، بأمر الله، وأسر قائدهم.

واقترب الجمعان، وأرسل السلطان الرومي الهدنة، فقد خافه كثرة من معه، ذلك أن فم مع ملك الروم خمسة آلاف مقاتل من جيش المسلمين، فرد عليه ملك الروم لا هدنة إلا في الري.

فاستشار ملك المسلمين إمام الجند أبا نصر محمد بن عبد الملك البخاري، فأجابه:

والأشخاص العظام هم الذين يُجري الله تعالى على أيدهم الأحداث العظيمة، فيصنعون تاريخ الأمم.

ولهذا كان الحديث عن رموز الأمة، في غاية الأهمية، وتتضاعف أهميته، عندما تكون هذه الرموز في حال الجهاد، وتتضاعف أكثر وأكثر عندما تكون الأمة في جهاد تحدد عاقبته مصيرها، كما هو اليوم.

فعنوان الحملة التي تُعدّ حملة صليبية تستهدف كلّ مقدساتنا، شديدة المحرقة القوة، في وسائل وماديات، إمكانات الدول، استطاعت أن توظّف حتى الحملة المزيف بلا شك الحبيثة.

ويقابل هذه الهجمة مشروع واحد، هو مشروع صليبي، من شعوب امتنا، فالدول سُخِرَت للحملة الصهيو-صليبية، بما لم يكن في الإسلام.

والمشروع الجهادي يشمل جهاد اللسان، وجهاد السنان، وهدفه صدّ هذه الهجمة، وحماية الإسلام من بارها المعرّة.

والمعركة تدور رحاها اليوم في فلسطين، العراق، أفغانستان، وغيرها.

وهذه المعركة يقودها رجالٌ عظماء، كما ذكرنا أن الشخصيات العظيمة، هي التي تصنع التاريخ، ويجب علينا أن نشير إلى هؤلاء الرموز بما يستحقونه، ونضعهم في مكانتهم، ونلقي الضوء على إنجازاتهم، وجوانب العبقرية والتميّز فيهم.



يجب أن نصنع نحن ذلك، انطلاقاً من فهمنا للمعركة وطبيعتها، ولانسمح أبداً لأعدائنا أن يفرضوا علينا بالترهيب أن نلغي رموزنا، ونتكتم عن دورهم المُشْرِف في امتنا، فإن هذا من أعظم الإهزام والوهن والضعف.

وعندما يكون الحديث عن قادة عظمت تضحياتهم في أرض هذه المعركة، فإن الخلافات الجانبية، والثانوية، وتعدد الرؤى في جزئيات مشروع المواجهة، يجب أن يختفي عند الحديث عنهم.

فقد كان رمزاً بارزاً في حياتنا، وعندما انتهت الحرب، صارت مجرد أسماءهم ترجمة لمشروع صريح، هجمة على

ولنتحدث الآن عن معاني استشهاد أمير المؤمنين عليه السلام، وسبهم كذلك - أبو مصعب الزرقاوي، تنويعاً لرمز من رموز المواجهة للصليبيين والصهاينة، وللمنافقين، وللذين في قلوبهم مرض، وللذين أعماهم الحديث، وألقت الأحقاد على أبصارهم بغشاوة، فلم يروا الإبداع المتمثل في هذه الشخصية الجهادية الفذة.

فدعنا نسجل عند الله تعالى، في هذه الليلة كلمة تحت نفوسنا فيه، ودع التاريخ يرقمها، ودعنا نحتسبها عند الله تعالى، الباعث على

المعنى الأول:

إذا قيل إن العمر الحقيقي لكل شخصية، هي مقدار ما قدمته من إنجازات، فهذه الشخصية، أعني أبو مصعب الزرقاوي، قد ضرب مثلاً على مستوى التاريخ، في بركة العمر، فهو لم يُعرف على مستوى الأمة، إلا مدة ثلاث سنوات في جهاده بالعراق، لكنها كانت كأنها عصارة تاريخ جيل.

ولم يكن المحتل الصليبي وأوليائه من العاقمة الصفويين المتآمرين على العراق، أشد حرصا على شيء منهم على القضاء على هذا الرمز الجهادي، بما يعلمون من دلالات الرموز وآثارها العظيمة على أي أمة، فقد استطاع الزرقاوي أن يرمي بأقل الإمكانيات التي في يده كما قال تعالى: {وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى} المشروع الصهيو-صليبي في العراق بصواعق أوقفت زحفه، وبعثرت مشروعه، وأدخلته في مستنقع الهزيمة.

ولو لم يكن ثمة عدو للزرقاوي في تاريخ الإسلام إلا هذا العنوان، لكفاه والله شره. وسبق هذا عنوانه ربه في أنرف أعداء أعدائهم، ويبقى إنجاز الزرقاوي محفورا على جبين تاريخ الإسلام، **مُوثُوا بِغَيْظِكُمْ**.

المعنى الثاني:

قد ضرب أيضا مثلاً لثمرة العلم المبارك، فالعلم لم ينجس بهادرات يطرّز بها المكاتب، وينال بها المناصب، ولا علّق المشالج بالعلماء المنحرفين عن الوحي الذي هو حياة أمة الجهاد، ما فيه بركة الإخلاص - العلم - تربية - السجن.

وتعلم معه أن المرحلة التي يمر بها الإسلام، سهلة أن تفهم طبيعتها، وسهل أن تفهم طريق النصر فيها؛

فقضيتها الفكرية المركزية هي؛ العدوان الصهيو-صليبي على امتنا المستمر من قرن من الزمان، وقد جعل أوليائه ووكلاءه من الأنظمة الفاسدة أدوات لحرب هذه الأمة.

وههدفه؛ استلاب حضارتها، وطمس هويتها، وتخريب ثقافتها، وتحويل بلادها، ومكتسباتها إلى ملحقات بمشروع الصيهو-صليبي. إنه نفس مخطط كفرة أهل الكتاب منذ بعثة محمد صلى الله عليه وسلم، كما قال تعالى: {يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتِمَّ نُورُهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ} * هُوَ الَّذِي أَرْسَلَ رَسُولَهُ بِالْهُدَى وَدِينِ الْحَقِّ لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ}.

وأما الجهاد الذي يتحدث عنه أئمتنا اليوم، جهاد أمثال عمر المختار، والفتوى وكل الحملة التي تصدوا للحملة الصهيونية، التي زرعت في أمتنا هذا العد الصهيوني الخبيث.

وانطلق أبو مصعب يحمل شعلة العلم، الذي كان ينادي بالجهاد، فخطب و يتكلم، فترجمه إلى واقع عملي، وخاصة في أرض الرافدين، فضرب مثلاً لحملة العلم لو كانوا يعقلون.

المعنى الثالث:

ضرب مثلاً للإبداع في أقصى طوره، الذي كان ينادي بالجهاد، فالرجل استطاع أن يكون من المجموعات المقاتلة، قليلة العدد، وبأسلحة بسيطة، ولكنها أقوى وأعنى جيش في العالم على جميع المستويات، استطاع أن يكون له اليد الطولى أمام تلك القوة العاتية، واستعمل من التكتيكات العسكرية ما تحت يده، فسخر كل ما يمكن أن ينكى في العدو، وأردف ذلك بجهاد إعلامي متميز، يلقي الوهن في عزيمة عدوه، وينفخ روح التضحية في أنصار الجهاد، وأثبت جهاده أنه مهما كان العدو متجبراً، فإنه يبقى ثمة نقاط ضعف فيه، يمكن أن تقود إلى هزيمته.

وهذه في الحقيقة هي أهم جوانب إبداع الشخصية، أعني كيف تصنع الأحداث الكبيرة من المعطيات المتوفرة مهما كانت ضئيلة، فإذا أردت أن تضرب مثلاً لهذا الإبداع، فاذكر اسم أبو مصعب الزقواوي عنواناً له.

المعنى الرابع:

الوهن لم يكن يعرف إلى قلبه سبيلاً، والعزيمة كانت في نفسه أرسخ من الجبال الراسيات، حتى لم يكن يحسب أن يسهل عليه قتل أكبر الناس، لم يكن يحسب لها أي حساب، إذ كان يعلم أن حارباً لله في سبيله، وأن الله معه، وأن الموت لم يتأخر ثانية إن حانت ساعته، فالتفت إلى متى، ولكن لم يفتأ يقول: لا اله الا الله

فهذه كانت أعظم جوانب شخصيته، وهذه هي معادلة النصر بالنسبة لأمتنا، كما قال تعالى: {وَكَايْنٍ مِنْ نَبِيِّ قَاتِلٍ مَعَهُ رِثْيُونٌ كَثِيرٌ مِمَّا وَهْنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ}.

وأمتنا لا ينقصها اليوم رجال، ولا مال، ولا إمكانيات مادية، بل بلاؤها من شيء واحد، ذكره النبي صلى الله عليه وسلم، وهو الكراهية للموت.

فمتى تخلّصت منه انتصرت بإذن الله

المعنى الخامس:

أن الرجل ذكر الأمة بحقيقة مفهوم القيادة في الإسلام، والذي نسيته من زمن طويل، فقد أسفر عن وجهه الكريم، وقاد معاركه بنفسه، وتحدّى عدوّه، وهو بين أظهرهم، يتحدثهم،

مستبشراً بالشهادة، مُرحباً بالموت في سبيل قضيته، زاهداً في الدنيا، مؤثراً إحياء أمته على إبقاء نفسه.

فكأنّ حاله يقول؛ عندما يكون قادتكم بهذه المثابة، ستنالون العزة.

المعنى السادس:

تأملوا الإنجاز الكبير... حملة جثمانه!

عجباً والله لك يا ربنا... أربعين مسلحاً...

الرافدين، ثم يخشون من هؤلاء الجحاشان إلى...

إليه أفندقم، ويبقى قبره يذكر الأمة ببطلها...

الإنظمة، والتطلع إلى عزة الجهاد و نهضة الأمة،...

التي سقيت شرفها بدماءك، فما دفت إلا سرا!

بينما هؤلاء الزعماء قد ألقى في شرب مئة غرامهم، فلم تنفعهم جيوشهم، وحرصهم، وثرواتهم، ومات ذكرهم بموتهم. تعفنت جثثهم التي حملت عن حياتهم الملية بالخيانة.

المعنى السابع:

كان الزرقاوي يلهج بالشهادة، ويطلبها، ويدعو إليها، ويحضّ المجاهدين عليها، فأظهر الله صدقه باستشهاده، ولنتأمل كيف أظهر الله تعالى صورته للعالم، ووجهه مشرق، وعليها لمحة الراحة بعد العناء، والرضا بعد الكرب.

فكأنَّ حال لسان حاله يقول:

فياربَّ إن حانت وفاي فلا تكن *** على شرجع يُعلى بخضر المطارف
ولكنَّ قبري بطنُ نسرٍ مقلبه *** بجوِّ السماء في نسور عواكف
وأُمني شهيدا ثاويا في عصابة *** يصابون في فجٍّ من الأرض خائف
فوارس من بغداد أَلْف بينهم *** تقى الله، نزّالون، عند التراحف
إذا فارقوا دنياهم فارقوا الأذى *** وصاروا إلى ميعاد ما في المصاحف

وبهذا يستشهدون بذلك - مسرعين - ثم عليه بختم النسخ، وسقاه
سقيا النصر.

المعنى الثامن:

لنتأمل كيف أنه لم يفرح بإستشهاده إلا الصهاينة، والصلبيون، والعلازمة الصفيون،
والمنافقون، من حمير الحملة الصليبية، فهذه والله آية على صدقه، وعظمة شخصيته، ومن
العجائب التي تذكرنا بأعجاز الأمة فيما مضى من تاريخها، أن شخصا حدثني عن
صهره الذي قدم من أمريكا، أنه فوجئ من أن والده يخبره أن المعلمة في المدرسة الأمريكية
أحضرت كعكة عليها صورة الرئيس الأمريكي جورج واشنطن، وأن المعلمة في المدرسة الأمريكية
الأمركيين يخوفون أولادهم عند الذهاب إلى المدرسة!

فسبحان الله، ورحمك الله يا أبا مصعب.

وأما الذين كانوا يتهمونه بقتل الأبرياء، **فما أغباهم!!!**، إذ جعلوا مستند قهمتهم أبواق
الصليبية، ودعاوى وافتراءات إعلام العلازمة مطايا الإحتلال الصليبي، فالرجل كان
يصرح أنه لا يستهدف إلا المحتل وأعوانه، وقد لهجت أشرطته بخوفه على المسلمين، وعلى

أهل السنة، وغيّره على دماءهم، وتمنّيه أن لو قطع جسده إربا، ولا يقتل مسلم بغير حق، أو تمس امرأة مسلمة بسوء، وأنه لا يعنيه إلاّ تطهير أرض الإسلام من دنس المحتل، ثم العراق هو لأهله.

والحقيقة الجلية أن ما يجري اليوم على أرض الرافدين ليس هو حرب طائفية، أشعلها الزرقاوي، فهذا كذب زوره المحتلون وأعدائهم، إنه عدوان صليبي علقمي صفوي على مسلمي العراق، حتى شيعة العراق من كان منهم شريفا رفض المؤامرة الصليبية الصفوية لتقسيم العراق إلى مناطق تحت الاحتلال الصليبي، الذي يهدف إلى تقسيم العراق وإضعافه.

والذين سفكوا دماءهم في العراق هم فرق الجهاد، كما صرح الشيخ محمد باقر الصدر، تحت راية الصليب في العراق، كما صرح الشيخ محمد باقر الصدر، ذمة الجعفري أكثر من أربعين ألفا من سنة العراق قتلهم، ولا يريدون أن يتركوا العراق تحت إشراف الصليب، تمارسها أجهزة دولة الصفوية في العراق تحت إشراف الصليب.

وها هي تزداد يوما بعد يوم بعد استشهاد الرافدي في طيحية تفضح أكاذيب المحتل واعوانه، وتبين أنهم من يذبح أهل العراق في الظلم، ويرمي التهمة على غيره في النهار.

المعنى التاسع:

لا ننسى هنا أن ننوّه بدور زوجته المجاهدة التي رزقها الله الشهادة معه، فقد كانت هذه المرأة -والله اعلم- أشجع امرأة على وجه البسيطة، إذ رضيت أن تكون قرينة لأشدّ المطلوبين خطرا لإمبراطور الشر الصليبي وللصهاينة، وهي تعلم أن آية صاروخ قد يحرقها

في أيّ لحظة، والموت متربص بمن هو بجانبها في كلّ حين، وهو زوجها المجاهد أبو مصعب الزرقاوي.

وأكبر جيوش العالم، وأشدّها قوة، وأعظمها عتادا، يبحث عنه في كلّ زاوية من أرض الرافدين، ليمزق جسده، وقد امتلأ حنقا وغضبا عليه، من كثرة ما أهرق من دماء هذا الجيش الكافر، وأصابهم بالمقاتل والجراح.

فرحمهم، ونسأل الله أن يتقبّل شهيداً وأن يسكنها الفردوس الأعلى.

المعنى العاشر والآخر
استشهد القائد أبو مصعب رحمه الله فخطب من فوق راية حمزة، وإن استشهد سيحمل رايته هذه الراية، لأنّ عاقد لواءها محمد صلى الله عليه وسلم، انتقل إلى الرفيق الأعلى، وقد أسلمها إلى أسامة ليقاتل الروم، وها هي عادت جذعة من جديد، حتى بأسماءه ستبقى بقول الصادق المصدوق: (لا تزال طائفة من أمتي يقاتلون على الحقّ ظاهرين إلى يوم القيامة) رواه مسلم.

وهذا الجهاد الذي يقدم الرموز المرموقة وهو من مستبشرون كارهون أن يبقوا في هذه الدنيا الحقيرة، مؤثرون راحة على أيّ شيء سواه، جدير بنصر الله تعالى بإذنه.

وهذا الجهاد الذي يسقي شجرة النصر بدماء الشهداء، لن يوقفه شيء، وسيبقى شامخاً، ويزداد، ويعلو، ويبلغ هدفه، وتحقق رايات نصره في عواصم الإسلام، ويوحّد الأمّة بإمام واحد يُحكّم شريعة الله تعالى في أرضه، ويعيد إلى المسلمين عزّهم، ويبني صرح

ولنمض أيها الأخوة نحو الهدف فقد اقتربنا منه، ولنحذر مداخل الشيطان، ولنضع نصب أعيننا أن نلحق الهزيمة بهذه العدو الذي يستهدف أعلى ما لدينا، رسالة الإسلام الخالدة، التي استأمننا عليها محمد صلى الله عليه وسلم، وحملها إلينا أصحابه، وعبر الأجيال وصلت إلينا لنحملها إلى من بعدنا، كما وردت إلينا.

فلنبذل الغالي و الرخيص لنحفظ هذه الأمانة، ونرفعها عاليا لتمضي في مسيرة التاريخ إلى من بعدنا.

سأبذل نفسي على الله وأبذل ديني، بنا أو بغيرنا، إن يشرفنا أن نكون ممن وقفوا في راية المجاهدين، في استعملهم في مرضاته.

فاللهم استعملنا ولا تستبدلنا..

وأراي أسمو بسعي ووعيي *** عن جزاء من معدن الأرض بخس
حسب نفسي من الجراء شعوري *** أني فكي له أبذل نفسي

وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم ما كثيرا.

١٥ جمادى الثاني ١٤٢٢ هـ

١١-٧-٢٠٠٦ م